١٦

آية لها حكاية

بعثت بشيرا و نذيرا

الدكتور

محمد عمر الحاجي

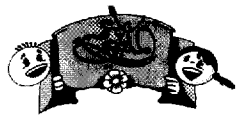

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

* بينما كانَ (أَنس) يَقْرأُ عن أَحداثِ السِّيرةِ في العَهْدِ المكِّيِّ ، تَوَقَّف طويلاً عند اسْتِكْبارِ مُشْرِكي مكَّة ، وقال: كم كانوا يُعاندون ويَسْتَهزِئون...؟!

ثم رَتَّلَ قولَهُ تعالىٰ وهو في مَعْرِض الحديثِ عن بَعضِ النّماذِجِ التي تُبرِزُ مدىٰ عنادِهم واستكبارِهم:

** ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن

زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣].

* وتابَع (أنس) الأحداثَ ، فالتَقطَ هذهِ الحكايةَ المفيدةَ:

ذاتَ ليلةٍ ، اجتمعَ رؤساءُ قُريشٍ عندَ الكعبةِ ، وكان منهم: (عُتبةُ ، وشَيبةُ ، وأبو سفيان ، والنَّضْرُ بن الحارِث ، والوليدُ بن المُغِيرة ، وأبو جَهْل...) وتَشاوَرُوا فيما بينَهم.

** فقال بعضُهم لبعْضٍ: ابْعَثوا إلىٰ محمدٍ ، وكَلِّموه وخاصموه حتىٰ تُعْذَروا فيه...

فَبَعثوا إليه ، فجاءَهم سَريعاً ، حتىٰ جَلَسَ إليهم.

* فقالوا: يا محمدُ ، إنا واللهِ لا نَعلمُ رجلاً من العَرَبِ أَدْخَلَ علىٰ قومِه ما أَدْخَلْتَ علىٰ قومِكَ ، لقد شَتَمْتَ الآباءَ ، وعِبْتَ الدِّينَ ، وشَتَمتَ الآلهةَ...

فإنْ كنتَ تُريد مالاً جمعْنا لك من أموالِنا ما تكون به أكثرَنا مالاً!.

وإنْ كنتَ تريدُ مُلْكاً مَلَّكْناكَ علينا! وإنْ كنتَ إنما تَطْلُبُ الشَّرَفَ فينا جَعلْناكَ سَيِّدَاً مُطاعاً...!!.

** فقال عليه الصلاة والسلام: «ما بي ما تقولون ، ولكنّ اللهَ عزَّ وجلَ

بَعَثَني إليكم رسولاً ، وأَنْزَلَ عليَّ كتاباً ، فإنْ تَقْبَلُوا مني ما جئْتُكم به فهو حَظُّكم في الدنيا والآخرة ، وإنْ تَرُدُّوه عليَّ أَصْبِرْ حتىٰ يَحْكُمَ اللهُ بيني وبينكم».

* فقال أحدُهم: تَعْلم أنّ بلادَنا أَضْيقُ البلادِ ، ونحن أَقَلُّ الناس أموالاً ، فسَلْ لنا ربَّكَ يُسَيِّرْ لنا هذه الجبالَ ، ويَبْسُطْ لنا بلادَنا ، ويُجْرِ لنا فيها أنهاراً كأنها الشّامُ!!.

** وقال الآخر: واطْلُبْ من رَبِّكَ أَنْ يُحيِيَ لنا مَنْ ماتَ من آبائِنا ، لِنَسْألَهم عما تقول:

أحقٌّ هو أَمْ باطِلٌ!!.

* فقال الثالث: وإلاّ فسَلْ رَبَّكَ أنْ يَجعَلَ لك جِناناً وكُنوزاً وقصوراً من ذَهَبٍ وفِضّةٍ ، يُغنيكَ بها عن الأسْواقِ والمعاش!!.

** فقال عليه الصلاة والسلام: «ما أنا بالذي يَسأَلُ ربَّه هذا ، وما بُعِثْتُ إليكم بهذا ، ولكنَّ اللهَ بعثني بشيراً ، ونذيراً».

* فقالوا: إذاً فأَسْقِطْ علينا كِسَفاً من السماء كما زَعَمْتَ أنّ ربَّكَ إنْ شاءَ فعل!.

وضَحِكوا ضَحِكاتٍ عاليةً ، ثم قالوا: إذاً فاتَّخِذْ إلىٰ السماءِ سُلَّماً تَرقىٰ فيه إلىٰ رَبِّكَ!!.

** وقال أحدُهم متبجِّحاً: ولَنْ نُؤمِنَ لك حتىٰ تأتي باللهِ والملائكةِ قَبيلاً ، فنحن نُريد أن نُقابِلَهم.. ونتَحدَّثَ معهم.. ونُناقِشَهُم..!!.

* فَتَركهم رسولُ اللهِ صلواتُ اللهِ عليه ، وانصرفَ حزيناً ، وذلك لأنه كانَ يَرغَبُ أنْ يؤمنوا ويعودوا إلىٰ رُشْدِهم - فأنزلَ اللهُ تعالى تلكَ الآياتِ لتكونَ درساً إلىٰ يومِ القيامة...

* والحمدُ للهِ ربِّ العالمين *